وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية

مجلة الفلسفة

العدد ٢٩- ب حزيران ٢٠٢٤

خاص بأعمال مؤتمر العراق الفلسفي الحادي عشر
(الفلسفة وتحديات الهوية)
٢١-٢٢ نيسان ٢٠٢٤

مجلة أكاديمية محكمة تصدر عن كلية الآداب في الجامعة المستنصرية
تعنى بنشر البحوث في مجالات الفلسفة المختلفة
وما له صلة بها في العلوم الإنسانية الأخرى

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS – MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY

DOI: 10.35284 المعرف الدولي ISSN: 1136-1992 الترقيم الدولي

المحور الأول : الهوية وتحديات بناء الدولة

المحور الثاني : إشكالية الهوية بين الذاتية والموضوعية

المحور الثالث : الهوية في الفكر الإسلامي

المحور الرابع : الفلسفة وتحديات الهوية- نماذج من الفكر الغربي

المحور الخامس : الهوية والآخر

مجلة الفلسفة
العدد ٢٩ – ب
حزيران ٢٠٢٤

Ministry of Higher Education
& Scientific Research
Mustansiriyah University

PHILOSOPHY

JOURNAL

No. 29-B June 2024

A SPECIAL ISSUE of 11TH IRAQ PHILOSOPHICAL CONFERENCE
(PHILOSOPHY AND THE CHALLENGES OF IDENTITY)
April 21-22 , 2024

AN ACADEMIC PEER-REVIEWED JOURNAL
COLLEGE OF ARTS – MUSTANSIRIYAH UNIVERSITY
CONCERNED WITH PUBLISHING RESEARCHES IN VARIOUS FIELDS OF PHILOSOPHY AND WHAT IS RELATED TO IT IN OTHER HUMAN SCIENCES

ISSN: 1136-1992 DOI: 10.35284

Identity and the Challenges of Constructing State

The Problematic of Identity between Subjectivity and Objectivity

Identity in Islamic Thought

Philosophy and the Challenges of Identity- Examples from Western Though

Identity and the Other

PHILOSOPHY JOURNAL

الفلسفة

PHILOSOPHY

مجلة الفلسفة

مجلة فلسفية مُحكّمة نصف سنوية ، تصدر عن كلية الآداب / الجامعة المستنصرية ، وحاصلة على الرقم الدولي (المعياري) ISSN 1136-1992 ، والمعرف الدولي تحت الرقم 10.35284 وتُعنى بنشر البحوث والدراسات الأكاديمية والفكرية العامة في مجالات الفلسفة المختلفة : مجال تاريخ الفلسفة (الفلسفة اليونانية ، والوسيطة ـــ مسيحية وإسلامية،والحديثة والمعاصرة (الغربية) ، والفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر)، ومجال فروعها (الميتافيزيقا والتأويل ، وفلسفة اللغة والدين والمعرفة والتاريخ والجمال والفن والأدب والسياسة والقانون ...) ، ومجال الموضوعات النظرية العامة الأخرى (الناظرة في: العقائد والعرفان والحضارة والمنهجيات ـــ المعرفية والبحثية ...) ، وأي موضوع ثقافي أو فكري يتضمن بُعداً تنظيرياً حول الإنسان والهوية والزمان والحدث ...والنشر في المجلة باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية .ومما تتوخاه المجلة ، فضلاً عن خدماتها الأكاديمية المعروفة ، ترصين الثقافة ، ونشر الوعي النقدي البناء ، وفتح السبل أمام التقدم بالفكر والازدهار الحضاري المميز.

العدد التاسع والعشرون - ب

حزيران

2024

مسؤول الدعم الفني
م.د. مؤيد جبار رسن
كلية الآداب -المستنصرية

الاشراف اللغوي
أ.م.د. إيمان سليم يوسف
م.م. محمد محسن خلف

اخراج وتنضيد
هيئة تحرير المجلة

مسؤول الموقع الالكتروني
م.د أسماء جعفر فرج

تصميم وطباعة
مكتب الإثم
للنشر والطباعة

مجلة الفلسفة

مجلة علمية محكمة نصف سنوية يصدرها قسم الفلسفة

المجلة حاصلة على الترقيم الدولي ISSN:(1136-1992)

وعلى المعرف الدولي Doi تحت رقم prefix: 1035284

هيئة التحرير

-رئيس التحرير ا.د.حسون عليوي فندي السراي
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة
-مدير التحرير م.د.محمد محسن أبيش
الجامعة المستنصرية-كلية الآداب-قسم الفلسفة.

اعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى النشار (كلية الآداب / جامعة القاهرة – مصر)

أ.د. يمنى طريف الخولي (كلية الآداب / جامعة القاهرة – مصر)

أ.د. خوان ريفيرا بالومينو (سان ماركوس – بيرو)

أ.د. عفيف حيدر عثمان (الجامعة اللبنانية – لبنان)

أ.د. إحسان علي شريعتي (كلية الأديان / جامعة طهران – ايران)

أ.د. صلاح محمود عثمان (كلية الآداب / جامعة المنوفية – مصر)

أ.د. علي عبد الهادي المرهج (كلية الآداب - الجامعة المستنصرية - العراق)

أ.د. صلاح فليفل عايد الجابري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

أ.د. رحيم محمد سالم الساعدي (كلية الآداب / الجامعة المستنصرية - العراق)

أ. د. إحسان علي الحيدري (كلية الآداب / جامعة بغداد - العراق)

أ.د. زيد عباس الكبيسي (كلية الآداب / جامعة الكوفة - العراق)

البريد الالكتروني

journalofphil@uomustansiriyah.edu.iq

ترقيم دولي ISSN:(1136-1992)

فهرست دار الكتب والوثائق وإيداعها تحت رقم (٧٤٢)لسنة (٢٠٠٢)

شروط النشر في مجلة الفلسفة التي تصدر عن كلية الاداب / الجامعة المستنصرية / العراق

وهي مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، تحمل الرقم الدولي (ISSN) ١١٣٦- ١١٩٢.وحاصلة على المعرف الدولي (Doi) تحت رقم ١٠-٣٥٢٤٨. وتضم في هيئة تحريرها وعضويتها كبار المتخصصين بالفلسفة من العراق والعالم العربي ، ممن يحمل لقب الأستاذية .

١. يجب ان يكون البحث المرسل للمجلة مكتوب بخط (simple fide Arabic) بحجم (١٤) للمتن و(١٢) للهامش ، ومنضدة على (CD) خاص.
٢. يرفق مع البحث المفاتيح الخاصة به .
٣. يرفق مع البحث ملخص باللغتين العربية والانجليزية لا يزيد عدد كلماته عن (١٥٠) كلمة ، ويوضع في بداية البحث بعد العنوان .
٤. يكون توثيق الهامش في داخل متن البحث بعد اخذ النص من المصدر أو المرجع ، وعلى وفق الآتي : (اسم المؤلف ، السنة ، اسم الكتاب ، الصفحة) ولا يكون التوثيق في آخر البحث .
٥. يكون التوثيق للمصدر أو المرجع في نهاية البحث وبخط مائل ، وعلى وفق الآتي : المؤلف (سنة النشر) ، اسم الكتاب ، مكان النشر : الناشر .

نموذج تطبيقي : *الجابري ، محمد عابد(٢٠٠٣) ، نقدالعقل العربي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .*

٦. يشترط في البحث ان لا يكون قد نشر من قبل ، أو قبل للنشر في أي مجلة داخل العراق أو خارجه.
٧. يخضع البحث للتقويم السري والاستلال الالكتروني من قبل خبراء مختصين .

٨. البحوث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء اصحابها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر هيئة تحرير المجلة .

٩. يدفع الباحث العراقي الذي يروم نشر بحثه في المجلة مبلغا قدره (١٠٠٠٠٠) مائة الف دينار عراقي ، ومجانية للباحث العربي والاجنبي

١٠ . ترسل المجلة بعد صدور العدد نسخة بمثابة هدية للباحث ، وان طلب المزيد يدفع (١٠) آلاف عراقي عن كل نسخة .

المحتويات

البحث	أسم الباحث	الصفحة
كلمة رئيس المؤتمر	عميد كلية الآداب	١
تقديم	نائب رئيس المؤتمر	٢-٤
❖ **المحور الاول : الهوية وتحديات بناء الدولة**		
١: الهويّة بين الواحديّة والتعدديّة	أ.د. علي عبد الهادي المرهج	٥-٣٤
٢: إشكالية الهُوية: براغماتية خطاب السلطة، و صناعة .المقدس، في عراق ما بعد ٢٠٠٣	أ.م.د. حيدر ناظم محمد	٣٥-٥٣
٣: سياسة اعتراف الدولة بالهويات الدينية عند مارسيل غوشيه	م.د. ساره خزعل محمد	٥٤-٨٧
❖ **المحور الثاني: إشكالية الهوية بين الذاتية والموضوعية**		
١: على هامش السيرة الذاتية.. السؤال الفلسفي عن هوية الحياة بين سبينوزا ونيتشه	أ.م.د. قاسم جمعة راشد	٨٨-١١٤
٢: الأبعاد الديناميكية في تشكلات الهويّة: دراسة في فلسفة التاريخ	أ.م.د. طالب محمد كريم	١١٥-١٣٨
٣: أنسَنة المثال الأعلى لدى سينيكا – نحو هوية عالمية لمفهوم المواطنة	أ.م.د. سلام عبد الجليل البحراني	١٣٩-١٦٢
❖ **المحور الثالث: الهوية في الفكر الاسلامي**		
١: منطق الهوية والغيرية عند فخر الدين الرازي	أ. د. نضال ذاكر	١٦٣-١٨١
٢: وهم الهوية ... نقد أبي العلاء المعري للصوفية	أ . م . د. جواد كاظم عبهول	١٨٢-٢٠٤
٣: الهوية الدينية (الإسلامية) في المشروع الإصلاحي عند السيد جمال الدين الأفغاني	م.د عبدالرزاق حسن هاشم	٢٠٥-٢٢٧
٤: الهوية الدينية في فكر السيد الصدر وموقفه النقدي من التيار المادي الماركسي	م.د. مازن جبار كاظم	٢٢٨-٢٥٣
❖ **المحور الرابع الفلسفة وتحديات الهوية : نماذج من الفكر الغربي**		
١: اللغة وهوية الأمة عند "فيلهلم فون همبولدت"	أ.د. مصطفى بلبولة	٢٥٤-٢٧٨
٢: الهوية في الفكر الغربي: واحدة أم متعددة؟ ثابتة أم متغيرة؟	د. عمر التاور	٢٧٩-٢٩٩
٣: أزمة الهوية في عالم ما بعد الأخلاق: نحو صوغ جديد لفلسفة الاعتراف	د. مصطفى العطار	٣٠٠-٣١٧
٤: الهوية والفكر المركب وآفاق فهم الإنسان عند إدغار موران	د. حملاوي مهتو	٣١٨-٣٣٧

❖ المحور الخامس: الهوية والأخر		
١: مقاربات فلسفية في مفهوم الهوية ...الفلسفة الكندية أنموذجا	د.بورزاق يمينة	٣٣٨-٣٥٥
٢: الهوية واللغة: جدلية الكوني والخصوصي	د. حيمان فطيمة	٣٥٥-٣٨١
٣: سؤال الهوية بين جدل الخصوصية والكونية في فلسفة ""ادغار موران"	د. تيرس حبيبة د. واضح عبد الحميد	٣٨٢-٤٠٥
هوية المعرفة العلمية المعاصرة: دراسة في المبادئ الأساسية	م.م سندس عبد الرسول مجيد	٤٠٦-٤٤٤
البيان الختامي للمؤتمر وتوصياته		٤٤٥-٤٤٧

على هامش السيرة الذاتية..
السؤال الفلسفي عن هوية الحياة بين سبينوزا ونيتشه

أ.م.د. قاسم جمعة راشد

العراق/ الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

*ان الانسان الحر لا يفكر في شيء أقل من الموت ،وتتمثل حكمته في تأمل الحياة لا في تأمل الموت.**سبينوزا***

*إمكان المرء ان يمد قامته قدر مايريد من خلال معرفته ،وان يتراءى لنفسه على مستوى عال من الموضوعية ؛ غير انه لاينتج غلة من ذلك كله بالنهاية سوى سيرة حياته الذاتية .**نيتشه: إنسان مفرط في إنسانيته , فقرة ٥١٣***

- **فلسفة سيرة أم سيرة فلسفة تعاش:**

هل أنوي ان أجعل نيتشه قارئا لأسبينوزا ؟.ربما توحي بذلك أو تفهم هكذا، الأشارات التي أحاول أن التقطها بين نصوص كل منهما(سبينوزا ونيتشه)،وبالتالي تتولد تلك القناعة عند كل من ينوي ان يلاحق ذبذبات خطابهما الفلسفي،ان صاحبينا يسترشدان من قبس فلسفي واحد.الحياة وعيش الحياة كما هي.

كنتُ قد لمستُ عند دولوز، منحى تأويلي يسعى فيه الى قراءة سبينوزا، بعينيّ فيلسوف المطرقة (نيتشه)،لاسيما بعد تأكيده،على ان فلسفة سبينوزا،فلسفة مستفزة،لكل القناعات، خاصة ما يتعلق بمسلمات الوعي والقيم والانفعالات ،إذ يقول" إن دعوات رفضه لهذه المسلمات الثلاث هي عينها نقط الإلتقاء التي تجمعه بنيتشه..".

سأحاول ان ألمسُ طريقا آخر يستهدف قراءة نيتشه بعينَي سبينوزا.. ولا أعرف إن كان سيحالفني الحظ ام لا.! فالأبرز والأهم عندي هو كيف يلتقي السؤال الفلسفي مع سرد السيرة الذاتية؟.وبالتالي كيف تساعدنا السيرة الذاتية بوصفها نصا مغيبا من بيان الأثر

الأسبينوزي على فكر نيتشه؟. ربما ليس مصادفة ان يتم عقد الصلة بين سبينوزا ونيتشه، فكليهما تُفسر فلسفتهما من خلال الحياة،او لنقل انهما يمثلان الحياة التي تفلسفت عبر سير حركتها المعاشة من قبلهما!. الألوية لمن؟..

ياترى ،أيصح الاعتقاد ان الفلسفة على طول خطها التاريخي بقيت رهينة لحياة مسيرة فلاسفتها الخاصة..؟.ولماذا جاء نيتشه هذه المرة مع سبينوزا؟.

يستدعي التلاقي الفكري، التأمل بين سبينوزا ونيتشه البحث فيما هو مشترك بينهما..الموقف من الحياة والموت والحرية ورفض الغائية وقوة الارادة والرغبة في العيش بجرأة وأصالة،العلاقة مع الاهل والمرأة[١]،واللاأخلاقية التي تنبعث من كتاباتهما الأدبية والدعوة الى الأعتقاد بأننا كائنات نخضع لمنطق الطبيعة وقوانينها.. فربما تكشف لنا السيرة الذاتية عن سيرة فكرية ذات هوية فلسفية متشابهة.

ولعل ذلك ما حاول توضيحه الاستاذ (فؤاد زكريا) في كتابه عن سبينوزا ،في معرض رفضه لكل رأي يجرد فلسفة سبينوزا من الحياة ووسمها بصفة التجريد الهندسي،بالسؤال "أليست في حياته (يقصد سبينوزا) الاجتماعية والفردية معالم عديدة تفسر الكثير من افكاره وتلقي ضوءاً على غوامضها؟"[٢].فالاتصال بالاخرين شغل سبينوزا لانه يوليه اهمية كبرى في عيش الحياة واستمرار الذات في تحقيق رغبتها الفردية والمجتمعية.[٣]

وللطرافة في سرد السيرة وأهميتها رغم أنف الفيلسوف اذا جاز التعبير،يذكر مؤلف كتاب(معلم الماني هايدغر وعصره)انه بالرغم من رفض مارتن هيدجر،اسلوب التحليل الذي يربط الفلسفة بالحياة ،او الفكر بالشخصية ومزاجها ،في احدى محاضراته عن ارسطو اخذ يقول عن ارسطو: وُلد وعمل ومات. ف" ماأراده هايدغر هو ان يُحكى عنه بالطريقة نفسها ،لان هذا بالتأكيد كان حلمه الاكبر،ان يعيش لأجل الفلسفة ،وان يختفي ،ربما ،في فلسفته الخاصة.."[٤] في اشارة لامعة ،ان هيدجر نفسه،لم يقدر على تطبيق ما طالب به طلابه في معالجتهم للافكار التي يراد تحليها..ويقول كاتب آخر عن هذا الازدراء والرفض لربط السيرة بالفكر،"وما ازدراء هايدغر المُعلن– حين يختصر حياة

ارسطو الى اقتضاب مفاده انه(ولد ،وعمل ، ثم مات) بهدف التركيز على فلسفته–سوى شاهدٍ على ممانعةٍ للربط بين التجربة والنظرية.لكن هذا الامر يظهر كترحيل قسريً كان هايدغر نفسه مهتما به،حتى ان قراءة نصوصه الخاصة سوف تكابد هذا الاحساس بوجود تساهل مريب فيها مع النظام النازي"[٥].

وعلى أي حال،يبدو ان لا أنفكاك بين الفكر والحياة كما هو مسلم به الآن في الكتابات السردية التي تخص السيرة الذاتية،وما تولده الاحداث مستقبلا من أفكار تتشكل تباعا. إلا أن كل عملية تصوير للشخصية الفكرية ودراسة افكارها من جهة ارتباطاتها الاجتماعية ناهيك عن معطياتها السايكولوجية، يولد لدينا قناعة عن وجود سير، لا تتفق مع ما تطرحه من بنية نظرية متسقة مع نفسها، ومن هنا يصح القول"ان عيش حياة متناقضة لما يتم الجهر به،أو بناء نظرية تشيد بخلاف ما نعيش،مثل هذه التصرفات لا تثير الاخلاق فحسب،بل تقدح زناد العقل والتفكير.كما ان تكرار مثل هذه البيانات يشير الى وجود حالات مختلفة لدى المرء ،تقبع في عزلة وفي الجانب الآخر..."[٦]،وليس سهلا اقناع أنفسنا،ان الفلاسفة كذبوا او انهم متطابقون سيرة وفكرا،ويبدو ان هناك التباسات كثيرة من الصعب الحسم فيها.ولا يقل اهمية ان اكتشفنا انهم كذبوا او صدقوا لأعتبارت خلقية وتربوية تخصنا كأجيال متعاقبة لما حصل من سير وأحداث..

لكننا نجد بما توفر لدينا من قناعات، اننا امام سير ذاتية ،بغض النظر ،عن التسطيح والزيف والبطولية في عرض الفلاسفة وكأنهم انبياء العصر الجديد، تلهمنا وتنقذنا مما نحن فيه من إرتكاس وخذلان وتشظي .فهذه السير لايهمنا منها سوى كونها جاءت متشابهة ،فأنتجت لنا رؤى فكرية تكاد تقترب من نفس الخطاب في القول والتدليل وصك المصطلحات تجاه الحياة والنهج والدعوة الى السير بأفكارنا، الى غايتها القصوى مهما كانت النتائج والعواقب أو درجة القرب والبعد بينهما الذي لا نغفل قيمته ودوره..

ولا يخفى ان نيتشه ذاته أنتقد جنس الكتابة في السيرة الذاتية، لأنه يعترف في كتابه (هذا الانسان) بحسب احد الدارسين"بأنه مهما حاول المؤلفون تجميل السيرة الذاتية

،تبقى أشنع الأجناس الأدبية وأكثرها غروراً على الأطلاق.في هذا الأنسان يكشف معاهدة لإخفاء غرور الكتاب خلف قناع التواضع وإهمال الذات والعذر الذي لا تشوبه شائبة المتمثل بحفظ الحوادث التاريخية .لم لا نعيد تقييم السيرة الذاتية مع كل شيء آخر؟ ولم لا يمكن توظيف السير الذاتية للتفخيم والخداع؟. للمبالغة والاحتفاء بالذات الهوسي المخلوط مع بعض الامور التي حدثت وبعض الامور التي لم تحدث من الاساس،مع الكثير من التعدد بوجهات النظر؟ ليس هناك حقائق ،بل تأويلات فقط ولا غير"[٧]..

لكنها تبقى مسيرة ذات لا تهدأ ابدا لا تريد مراقبة نفسها،بل تريد ان تحكي ماضي انتهي وتولد عصرٌ جديد،لذا فأن نيتشه توقف بعد عام ١٨٦٩ عن كتابة سير ذاتية والتجئ الى طريقة كتابة مغايرة،فشعار (أغُدُ ما انت عليه) دفعه لجعل الكتابة أبعد من كونها عملية مراقبة للذات بقدر ماهي فيضٌ لا ينضب"لقد كان يعامل الماضي كشيءٍ نجا منه او تجاوزه،وفي كل الاحوال انتهى منه تماما.وعلى النقيض فأن السير الذاتية في شبابه تُقرأ كلمحاتٍ في حياة يعيشها بلحظتها،والمعنى الاساسي لها انها في خطر ويجب حل هذه المشكلة بأي ثمن.هذه اللمحات تحكي قصة ليس لها نهاية باي شكل من الاشكال وكل شيء يعتمد على المؤلف ليكتب لها نهاية ناجعة"[٨].

وهو نفس ما ألمحت له غولدشتاين مؤلفة كتاب(خيانة سبينوزا) عندما ناقشت تبني سبينوزا لما هو (ذاتي) في كشف شخصيته وفلسفته إذ تقول"لا. ليس هو المكان ما يحث المرء على التخلي،عن هويته الزمنية الخاصة حيث انها قد جاءت بشكل سلبي من خلال الحالات الطارئة لما يسميه (السببية الخارجية) والحالات الطارئة التي لا علاقة لها بجوهره الحقيقي.وحيث يطلب من المرء ان يبني هوية جديدة–من خلال العمل الفعال للفلسفة،وبحثا عن التفسيرات الحقيقية لكل شيء.وكي تصبح عقلانيا،فأن الايمان فقط بما لدينا من اسباب جيدة للاعتقاد ،هو تحويل الذات بشكل جوهري لتضفر هويتها".[٩]

فنيتشه يلتقي سبينوزا لكي يجد ضآلته العلمية في فلسفة الاخير، إذ ينقل عنه قوله"لقد أصبحت عزلتي الان عزلة تتسع لشخصين !.أنني مندهش فعلا ،ومسرور حقاً! لقد عثرت على النذير المبشر" حتى انه "كتب قصيدة أهداها لأسبينوزا..."[١٠]..لكنه يحمل عليه ناقدا اياه بالقول:" فيا لها من تمثيلية تجعلنا نراقب أصابع الأخلاقيين والوعاظ والعجائز وهي تؤدي حيلها اللطيفة.اسبينوزا_حَدث عنه ولا حرج_بشعوذاته ذات الصورة الرياضية،يدرع فلسفته _(حبه لحكمته) تفسير صحيح ومنصف للكلمة_ ويقنعها ليثبط بدءا عزيمة أي معتد قد يجازف بالقاء نظرة على هذه العذراء المحصنة، على أثينا الفتاة .فكم ينم ذلك الناسك المريض عن حياء ووهن"[١١].

وهو نفس النقد الذي بوجهه نيتشه الى سقراط وفلسفته،فهو لا يقبل بكل نمط تفكير فلسفي او علمي او ديني يرهن الجسد وعنفوانه،بقيم مجردة جوفاء تنهي حيوية أيقاع الحياة .ولذا وجه نقده لأسبينوزا. وعلى الرغم من نقد نيتشه القاسي، الا ان سبينوزا، يحضر بين نصوص نيتشه ،في اعمال متنوعة وموضوعات متعددة. فيالهذا المريض كيف يلهم عقل مريض آخر؟!..ربما يكون زرادشت،نسخة من مسيح جديد كان قد قرأ كتاب علم الاخلاق لأسبينوزا؟!..فأخلاق ما (ينبغي عليك) لم تعد ترضيهما بل انهما يريدان ،إذا آخينا الاثنين منهجيا سبينوزا و نيتشه،أن يؤسسان اخلاق (أنا أريد).[١٢]

لا أُريدُ ان انحاز لأسبينوزا بقدر ما أنقذه من سوط نيتشه ومطرقته.وأبين أسبقية سبينوزا في الأشتغال على موضوعات كان لها الأثر البين في خطاب نيتشه.لاسيما النزعة اللاأخلاقية ومعالجة الانفعالات والحرية والضرورة وقوة الأرادة ومفهومهما للاله والأنسان والموقف من المرأة والدين وسلطة رجاله وتعاليمهم الميتة والفلسفة ومفاهيمها الجدباء..الخ.

- **نداء السيرة وصحبة المبشر:**

لقد كانت فلسفتهما صدى لحياتهما، ومن باب آخر لم يغيرا من نمط خطابهم رغم المعاناة المرضية والجنون والملاحقة والطرد .أعتقدُ انه حال يشبه حال كثيرٌ من المفكرين وربما يطابق اغلبهم سيرة وخطابا.. ،لكن مانريد التأكيد عليه ،والحق يقال اننا نعثر مع سبينوزا ونيتشه على ما نريد ..الشك والجرأة ومخالفة المألوف ونقد المخفي وفضح المستور ومناقشة المحرم التفكير فيه والتأكيد على أهمية الحياة والعيش وفقا لأفكارهما التي طرزت سيرتهما الذاتية ،وهو مادفعنا الى أهمية الأصغاء جيدا الى سيرتهما الفكرية وهل بالامكان الاستفادة منها في فهم فلسفتهم،لكن كما يقول أحد الكتاب عن نيتشه "من يحسن الاصغاء اليه " ،"لأننا اكتفينا بقراءة نيتشه داخل النص،واذا سمعناه يتحدث فربما لأننا دفعناه الى التحدث بأسمنا (نحن أنفسنا).."[١٣].

وترى لوسالومي في كتابها عن نيتشه "لقد انتزعت العديد من افكاره من سياقها وتحولت الى شعارات ومفهومات مبسترة في خدمة اطراف متنازعة لا تصله بها صلةٌ...بقيت الاشياء الاكثر تفردا وقيمة في اعماله مخبوءة لم يفطن لها احدٌ دافعة به الى المزيد من العزلة والانطوائية...بالكاد ثمة منهم من تبعه حقا وسار مساره بالابتعاد عن الاخرين وخصوماتهم اليومية،او البقاء متلحفين في عواطفهم الداخلية ،وليس منهم من رافق المفكر المنعزل والمتحفظ والغريب والمعقد الذي كان جسورا بما يكفي لحمل الآفاق المتسعة ،والذي هوى في لجة جنون طاغ"[١٤].. وسؤالنا المهم الذي أغفلناه كثيرا،هل تفيدنا سيرة الفلاسفة الذاتية في كشف دلالة النصوص الفلسفية ؟. بمعنى آخر هل يمكن عد السيرة الذاتية نصوصا فلسفية تلهمنا وتنقذ حيرتنا في أدراك فحوى الفلسفة التي ننوي فهم مغاليقها الميتافزيقية؟..

أدرك نيتشه من قبل أنه يعاني من عدم الأصغاء "..فاليوم لا أحد ينصت لي،ولا يعرف كيف يتلقى ما أعرضه،..لا أُفهم خطأ –ولهذا لا يجب ان اخطىء في فهم نفسي.."[١٥] ولعلها عين الدلالة التي رام تحقيقها سبينوزا في نهاية كتابه (علم الاخلاق) ومقارنته بين

حياة الجاهل والحكيم ،بقوله" ولئن بدا السبيل الي أشرت اليه وعراً جداً ،فأنه لا يتعذر مع ذلك الاهتداء اليه،اذ لا شك ان كل ما يندر وجوده يصعب بلوغه،اذ هل يُعقل ،لو كان الخلاص في متناولنا وبوسعنا الفوز به دونما عناء شديد ،ألا يعبأ به احد تقريبا؟ لكن كل ما يكون نفيسا يكون صعب المنال بقدر ما يكون نادراً."[١٦]

ولعل لو سالومي تؤكد هذا المرمى الذي نسعى لبيانه ،الا وهو التقارب البنيوي بين سيرة المبدع وكتابته، بالقول"واذا كانت مهمة كاتب السيرة الذاتية هي توضيح المفكر وتفسيره بالاعتماد على شخصه،فأن هذا الجانب يصدق بدرجة استثنائية على نيتشه في ظل الالتحام الكلي بين عمله الفكري الخارجي وصورة حياته الجوانية"[١٧] حتى انه يقول في كتابه ماوراء الخير والشر "لقد اكتشفت شيئا فشيئا ما كانت عليه كل فلسفة كبيرة الآن:أعني انها أعتراف ذاتي لصاحبها،ونوع من المذكرات من غير ان يقصد او يلاحظ،وان النوايا الاخلاقية او اللاأخلاقية شكلت في كل فلسفة بذرة الحياة الاصلية التي أنبثقت عنها،في كل مرة،النبتة برمتها"[١٨].

وعلى الرغم من أن فؤاد زكريا يطرح في كتابه عن نيتشه،بأنه كان مفكر تجريديا ونظريا الى حد انه ينقد ويناقش قضية مألوفة ،هي الأعتقاد بضرورة الارتباط بين المفكر وحياته ،ويصورها بأنها ليست بهذه البساطة وهو محق في بعض ما يقول وغير مصيب في الآخر.فهو يؤكد ما ذكرنا اعلاه من أن فلسفة نيتشه مرتبطة بحياته ،لكنه يجعل الأولوية لفكر نيتشه على الحياة بعكس ما نروم توكيده في مقالنا هذا..لكنه يعود ليوضح ما ينوي قوله بأنه (نيتشه) فيلسوف يقع في منطقة وسطى لا تجريدية ولا عملية[١٩]..ويقترح أويغن فنك في كتابه عن نيتشه انه "لن يمكننا معرفة المكان الذي يشغله نيتشه في تاريخ مفكري الغرب، إلا عن طريق التفكير المحكم في افكاره الفلسفية،وبهذه الطريقة فقط يُمكننا ان نكتشف شيئا من جدية مشكلته"[٢٠]. لكنه يقول قبلها انه علينا الا نغفل شخصيته ومذكرات حياته"انه يحدثنا بصورة تكاد لا تطاق عن نفسه وعن تجاربه الروحية وعن مرضه وعن ميوله".[٢١]

وأعتقد أنه لا يوجد كاتب، بمقدوره ان يكتب خارج زمنه أو مشاكله أوقضايا يومه المعاش،لكن المبدع هو من يصوغ الأفكار من خلال تطعيمها بقيم الحياة ونشرها ليحقق مدى من التأثير في عصره او مستقبل غيره.

وعلى أغلب الظن ان التقارب ينسحب برأينا من كونه تقارباً في السير الذاتية لكل منهما،الى تقارباً في الصيغ الفكرية!..فعلاقتهما(سبينوزا ونيتشه) بالأهل والأخت(ريبيكا سبينوزا والزابيث اخت نيتشه) والمعشوقة (كلارا ماريا محبوبة سبينوزا ولوسالومي وكوزيما محبوبات نيتشه وغيرهم كثير) والفلسفة والأصدقاء[٢٢] والأرث[٢٣] والمرض والوحدة والمنهج والرؤية تجاه الحياة، وأيمانهم بأنها لابد ان تعاش فلسفياً، وبوصفها نمطٌ فلسفياً لابد ان يحيا بالحياة اذا جاز التعبير.والخير والشر والموت والحياة ..الخ أتاحت لخطابهما ان ينهل من المعاناة رحيق الأرادة، ليسحق الضعف ويسير بالأنا نحو النجوم كما أشار مرة نيتشه..

يبدو ان كل شيء على ما يرام مع نيتشه لاسيما اذا عرفنا انه كتب سيرته الذاتية لأكثر من مرة تقارب ٦سير ذاتية كتبها بيده[٢٤]،ناهيك عن السيرة التي تنسب اليه والتي كتبتها أخته الزابيث في جزأين(الاول عام ١٨٩٥) بعنوان(حياة فردريك نيتشه) والثاني بدايات القرن العشرين بعنوان(نيتشه الوحيد)[٢٥]..ولقد تعرضت سيرتها عن نيتشه للنقد لانها تحوي حكايات غير موثوق منها ولا مدعمة بمصادر ،اضف الى ذلك"أنها لم تكن باحثة وتجاهلت بفاعليةٍ اي معرفة خالفت تصوراتها المسبقة.وفوق هذا فقد نشرت قصة أخيها وأوصاف الشخصية المعطاة في السير الذاتية لغاياتٍ شخصية:اولا لتمجيد أخيها وزيادة شعبيته،وثانيا للتقليل من المشاركات وأذية سمعة أُناسٍ لم تكن تحبهم،وذلك يشمل الجميع ممن قد ينافسون ادعاءها بأنها أقرب شخصٍ موثوقٍ لأخيها.."[٢٦]

لكن مع سبينوزا يبدو الامر (مشكلة) ،كما عنون أرفين يالوم روايته عن سبينوزا لأننا مع فيلسوف "كان شخصاً انطوائياً،منكفئا على ذاته الى حد كبير،وأخفى شخصيته في ثنايا كتاباته" لكننا مع فيلسوف تعرض لشتى ألوان الطرد والأبعاد والأقصاء الثقافي،من أقرانه

وأهلـه،ومن هنـا بطبيعـة الحال"لايسـتطيع احـد ان يعـيش مـن دون حيـاة داخليـة مـن التخيلات والأحلام والعواطف والرغبة في الحب.ويخصص سبينوزا قرابة ربع عمله الهام كتاب الاخلاق لمسألة التغلب على عبودية العواطف." ويقول يالوم معقبا على ماذكره آنفا:وبما أنني طبيب ومحلل نفساني،فأني على قناعة تامة،بأنه لم يكن بأستطاعته ان يكتب هذا الفصل من الكتاب(الاخلاق)(يقصد فصل الأنفعالات) ان لم يكن قد عانى صراعا واعياً في المشاعر الداخلية التي كانت تنتابه"[٢٧]،وهو ما يفسر ألحاح سبينوزا الى وضع منهج صارم لفهم الانفعالات وميكانيكيتها وخصائصها،فمن سبقه تناولها بصورة تبدو"امورا خارجة عن الطبيعة،لا امورا تسير وفقا لقوانين الطبيعة العامة ،بل يبدو انهم يتصورون الانسان في الطبيعة كما لو كان دولة داخل دولة"[٢٨].

ونحصـل علـى نتيجـة مهمـة مـن خـلال الاطـلاع ،علـى نـص سـبينوزا الهندسـي(علم الاخلاق) هي كما يرى احد المؤلفين:"ان ثمة حاجة الى تغيير ما،والى اتجاه جديد،والى طريقة جديدة في الحياة"[٢٩]،وهو ما أوضحه سبينوزا ،بأنه يروم تأسيس حياة جديدة يسير عليها لتحقيق السعادة عبر التخلي عن المال والمجد والزيف من اجل حياة الحقيقة والحرية والحب،اذ لما رأيت يقول سبينوزا،"اذن ان تلك الامور تقف عائقاً أمام مشروع تحقيق حياة جديدة،وأن التقابل بينها وبين هذا المشروع لـه من الشدة ما يدفعني بالضرورة الى التخلي إما عنها وإما عنه،وجدت نفسي مرغماً على البحث عن الاختيار الافضل،فعلا لقد بدا لي،كما قلت أنني كنت اريد التفريط في خير ثابت من اجل خير غير ثابت"[٣٠].

تبدو الحياة الشخصية مفسرة لمفهوم الحياة العامة ،أي بمعنى ان سيرة الفيلسوف تنير عملية أدراكنا لفكر الفيلسوف وأبداعه وعصره وأزماته الأجتماعية والسياسية..وهو ما يؤكده يالوم قائلا "عاش سبينوزا فلسفته:وبلغ مرحلة تفوق العقل وحرر نفسه من عبودية العواطف والانفعلات المقلقة،وواجه نهاية حياته بصفاء.لكن على من هذه الحياة والموت

الهادئين،فقد ترك وراءه صخبا شديديا لا يزال تأثيره مستمرا الى اليوم،فهناك الكثيرون الين يبجلونه،وكثيرون آخرون ينتقدونه ويخالفونه بحدة".[٣١]

ومن هنا نفهم اهمية التأكيد الذي، طرحه نيكوس كازانتزاكيس، في كتابه عن نيتشه بخصوص البحث، عن أسباب عدم الفهم والتشويش الذهني، الذي تعرضت له فلسفة نيتشه ،فكل من كتب عن نيتشه،برأي كازنتزاكيس،تعرض لهذين الأشكالين(سوء الفهم والتشويش)،ذلك بسبب ان"دراستهم الناقصة والمتسرعة لأعمال معينة من أعمال نيتشه.ومن جهة اخرى الى الحذف المتكرر _حتى من الدراسات الكاملة_لبحثٍ في عنصرين حاسمين(بدونهما يستحيل اي فهم عميق لتعاليم نيتشه):الزمن الي عاش فيه،وشخصية نيتشه وحياته[٣٢]. ويُطلعنا لونوار مؤلف (المعجزة الاسبينوزية)على سر أهمية وقيمة سبينوزا على خطاب نيتشه،إذ يقول"...ان تأثير سبينوزا على فكره هو تأثير مباشر وكبير.يقتفي نيتشه أثر سبينوزا ايضاً في ما يتعلق بتعويض ثنائية الخير والشر بالأختلاف بين الحسن والسيء.فهو يؤكد في جينالوجيا الاخلاق _والكلام ل لونوار_ ان ما وراء الخير والشر ،لا يعني ذلك على الاقل:ماوراء الحسن والسيء.وعلى خطى سبينوزا يبني نيتشه هو الآخر تصوره الاتيقي بالأنطلاق من الغبطة وأستهدافاً للغبطة ،ولكنه يقوم بذلك في شكل شذري مفكك،في حين ان الفيلسوف الهولندي قام ببناء نسق عقلاني متماسك"[٣٣].

فلذلك يرى نيتشه بأن"ما يمكن ان نحكم عليه بأنه خير حسب منظور معين يمكن ان يعتبر بشكل مشروع ايضا على انه شر من منظور آخر" فكل خير يقول نيتشه:هو شر قديم،صير صالحا للاستخدام.[٣٤]

معنى لحياة جديدة ترتجى ،تولد في شريان حياة كل منهما،فحياتهم ولدت معنى جديد للحياة.لم أكن حقاً أنوي ملاحقة التفاصيل الدقيقة بين فيلسوفينا ،لكن الامر هالني عندما عرفت مدى التطابق بينهما في السيرة الذاتية والتفكير وآلياته ومفاهيمه لاسيما في فهم الحياة بكل تفصيلاتها الفلسفية. ففقدان لأقرب الناس وطرد من المقربين. معاناة في

الهوية الفكرية والثقافية والأنتماء،حرمان وصراع على التركة والميراث،فقد وعوز وحيرة وإبآء ووحدة عنيفة. كره للنساء .اصدقاء ورسائل.أسرار وجماعات ونحل،اسلوب مباين وطرح مناقض لعصر كل منهما.معاناة في المرض وتشردٌ ميتافزيقيٌ كتبٌ تنوي الإجهاز على قيم كلية والتحضير لعصر جديد لحياة حرة مبهجة آتية لامحال.. وموت للاله عند نيتشه ووجود للأنسان بوجود الاله عند سبينوزا، بل وجود الانسان لا يوجد الا بالله.تعالق للعلاقات البشرية رغم حياة الوحدة والعزلة والانعزال.اهتمام بالدولة والشأن العام والأقرار ان ما كتبه يريده ان يوطد الحس الوطني لبلاده.

نيتشه ينوي الاعتراف ،بأن اوربا ممزقة وحتمية موتها أزف اعلان رايته.وأضحت أضعف مما نتخيل ،لذا يصر على اهمية الاتحاد الاوربي وضرورتها الثقافية .وسبينوزا يريد ان يكون مواطنا صالحا مراعي لحقوق بلده وقوانينها"ولم يبق لي الا ان اعلن صراحة انني اقدم عن طيب خاطر كل ما كتبت للسلطات العليا لوطني لكي تفحصه وتحكم عليه.فان بدت لها احدى قضاياي معارضة لقوانين البلاد او ضارة بالمصلحة العامة،فاني اتراجع عنها.ذلك لانني ادرك انني بشر وان من الممكن ان اكون قد اخطأت.ولكني على الاقل حاولت بقدر طاقتي الا اقع في الخطأ،وحرصت بوجه خاص على الا اكتب شيئا يتعارض مع قوانين بلدي او يتنافى مع الحرية والاخلاق الحميدة"[٣٥] فشلٌ في علاقات الحب، ومواقفٌ تكاد تتشابه تجاه الاهل والارث،فأخت كل منهما تتناحر من أجل ورثها وما خلف الأهلين[٣٦]..سجالات عنيفة ونقد لاذع ومتابعة للشأن العام. والمفرح أن الحياة لابد ان تعاش،بما ملَكتنا الطبيعة من قوى ،لاتقبل الأرجاء..بل تعلم الانسان ان يمتلئ وجوده بحيوية وأقدام..الخير والشر ونزعتهما اللاأخلاقية ،الحرية والضرورة أو حكمة الحياة الاله والانسان أو الحياة الحرة ،الأنفعالات والعلاقات أو انسان زرادشت المرتجى،والسياسة والحقيقة أو سياسة الفلسفة ..ربما تكون هذه المحاور بوابات للدخول الى عوالمهما التي سوف تفتح اسرارها السيرة الذاتية ،بأعتباره نصا فلسفيا، يمكننا من فهم ما ننوي فتح مغاليقه..

لقد كتب نيتشه اكثر من سيرة ذاتية عن تصل الى حد ست سير ذاتية كما يذكر دانيال بلو في كتابه(تشكل فريديريك نيتشه السعي للهوية ١٨٤٤-١٨٦٩) إذ لم تكن هذه السير"مجرد سرد صحفي للحقائق،على الرغم من انها تمدنا بالكثير من المعلومات التي يمكن استخدامها لملء فجوات السيرة الذاتية،بل عملت كأدوات استرتيجية استخدمها نيتشه محاولا فهم جانب معين في الذات ،ليقدم من خلال تصوير الذات نفسيته وقيمه،وأحيانا ليقرر ماذا يجب ان يفعل تالياً"[٣٧] ..

فالسير الذاتية يطمح من ورائها كاتبها تحقيق جملة من أمور منها ما كتبه لإيطاله التزوير فيؤكد في مذكراته الشخصية ما كتب وما عزف عن كتابته وأسباب كل واحدة من هذه الجزئيات التي تخص اعماله.ومرة ينوي الكاتب ان يعترف لنا عن ماضيه ،وبالتالي يكتب كل ما له وما عليه بصورة احيانا تصدم القارئ لها ..مثلا اعترافات روسو وما أحتوته من مضامين شخصية وأحداث تمس الصورة الرومانسية التي نحملها عن كل مبدع نقرأ له ونعجب به،فيأخذنا الاعجاب إلى صنوف من الدهشة والحيرة ،من خلال ما يعرضه روسو في اعترافاته وما تعرض له من جوع وتشرد وترحال والعيش على موائد النساء المحظيات او المعجبات وما الى ذلك من صنوف التحرش الجنسي وسنين عمره التي قضاها بالتنقل كأنه جوال لايهدأ له بال،وأنتكاساته وتعثرات عمله وأنتقالاته بين الأمكنة والبيوتات..الخ..وأحيانا الكاتب لا يريد من سيرته الشخصية، ألا ان يصورها لنا ،كنبي أصلاح ينوي الأطاحة بكل خراب يعثر عليه او شر يصادفه في حياته فيأخذ بالتدليل على أن تعاليمه هي حلٌ لكل شاردة وواردة،وهي سير كثيرة ،بل منهم من يصورها على ان فيها النجاة مثلا أذا قارنا مقال في المنهج لديكارت والمنقذ من الضلال ،مع الأخذ بنظر الاعتبار الاختلاف الذي بينهما وثقافتهما،فعندما تقرأ هذه الكتب ،يأخذك الاعتقاد أنك اما قصص ذاتية رغم قيمتها العلمية، ألا انك ،ربما تصدق ما يطرح فيها من أشكالات وحلول وما تتمخض عنه من مخرجات تتعلق بالوجود

والمعرفة والقيم المطروحة، في أزمان متنوعة ثقافيا.تخص ديكارت أو الغزالي او تخصنا نحن..

مع سبينوزا لا نجد سيرة ذاتية كتبها الفيلسوف بقلمه على حد معرفتي القاصرة ،فأحد معجبيه طبع أعماله ولا ننسى أصدقائه المقربين له وهو ما تكشفه لنا الرسائل التي تواترت سرا أو لنقل بصورة شخصية ومحدودة لعدد من اصدقاء الفكر والمعجبون بأسبينوزا،لا سيما أذا عرفنا ،إن الرسائل التي بلغت ٨٤ رسالة متبادلة بين سبينوزا واصدقائه والمقربين اليه لتوضيح جملة من الأسئلة والأشكاليات التي تعتريهم أثناء مطالعة نصوص الفيلسوف ومحاولة فهم مراميه المبثوثة في تضاعيف متونه،وهو واضح من طبيعة الرسائل أذ"ان الاطلاع على مراسلات سبينوزا قد يفيد كثيرا في تسليط الأضواء على النقاط الغامضة في مذهبه،وفي التعرف على شخص الفيلسوف وطبعه، وعلاقته بأصدقائه،والمنزلة التي يحتلها بين علماء عصره ،ونظرة الآخرين اليه:نظرة تشكك وتظنن تارة،ونظرة سخط ونقمة طورا،ونظرة تبجيل وتقدير وتقديس في غالب الطوار"[٣٨].

وعلى ما يبدو انها تكشف وتبين وتوضح لنا بعض الغموض الذي ينتاب نصوصه أو أفكاره أو كتبه، فالرسائل نصوص سردية، تزيل اللبس الموجود في كتبه،لأنه ساعتها يخاطب جمهوره وطلابه ومريديه وأستفساراتهم وأسئلتهم بوضوح وبأسلوب دقيق بيَن،الأمر الذي يشمل ديكارت ورسائله والتي كانت مكتبة سبينوزا تحتويها.[٣٩]

ولم يكتب أحد اصدقائه المقربين سيرته الا انهم كتبوها بعد وفاته واعتمدوا على مصادر لا توضح تفاصيل حياته ومواقفه بشكل وافي.ويذكر إندريه كريسون في كتابه عن سبينوزا ما يلي"اننا نعرف حياة اسبينوزا من خلال السيرتين اللتين تركهما لنا مواطناه الهولنديان:الراهب كوليروس ولوكاس من مدينة لاهاي.فقد كتبت هاتان السيرتان بعد إنقضاء عدد قليل من السنين على وفاته،وبالإعتماد على ما قدمه بعض من عرفوا الفيلسوف من شهادات.اما سجلات الجمعية اليهودية في امستردام ومعاصروه ،فهي

تتيح لنا ان نملأ جزئيا الفجوات الفاغرة في مسيرة حياته،وان نصوب بعض الأخطاء التي وقع فيها كل من كوليروس ولوكاس"[٤٠].

ويبدو ان هناك عقبات عدة تخص حياة سبينوزا كما يذكر د. فؤاد زكريا،ف"العقبة الكبرى التي تعترض الباحث في حياة اسبينوزا،ان مصادر هذه الحياة غامضة الى حد بعيد.وأهم المصادر التقليدية المعروفة هي :تاريخ حياته كما كتبه الطبيب لوكاس(او لوقا) وتاريخ حياته كما كتبه القس كوليروس..ثم نبذة عن حياته في مقال بعنوان اسبينوزا في القاموس التاريخي النقدي الذي وضعه الفيلسوف الفرنسي بيل: وهذه النصوص كلها اوردت وحققت في ذلك الكتاب القيم الذي وضعه فرويدنتال عن حياة اسبينوزا،وجمع فيه وثائق غاية في الأهمية تتعلق بحياة اسبينوزا ومؤلفاته ورأي المعاصرين واللاحقين فيه"[٤١]..

ويذكر بيار مورو مؤلف كتاب (اسبينوزا والأسبينوزية) ان المصادر التي تُعتمد في سرد سيرة سبينوزا خمس مصادر منها:

- ١٦٧٧ مقدمة الاعمال التي صدرت بعد وفاته..
- ١٦٩٧ مقالة بيير بايل في قاموسه النقدي.
- ١٧٠٠ مقدمة سبستيان كورتهولت للطبعة المعادة من رسالة المخادعين الثلاثة (هوبز/شاربوري/سبينوزا).
- ١٧٠٤ حياة سبينوزا التي حررها الاسقف كوليروس.الذي أُعجب بسلوك سبينوزا ولم يؤمن بأفكاره.
- ١٧١٩ القسم الاول من مجلد(حياة وعقلية م.بنوا دي سبينوزا) ينسب للطبيب جان لوكا.

ومن هنا نحن لا نلاحظ يقول بيار مورو" بما يكفي ان اياً من هذه الوثائق الخمس لا يشكل سيرة اصيلة:فكل منها يرافق نصاً نظريا عليه التقديم له،بالشرح او بأظهار

الفوارق...بالتالي فأنه علينا ان نقرأ التأكيدات البيوغرافية في اطار هذه المواءمة:فلهجتها وخيارها ومناظيرها لا ترمي الى مجرد رواية الوقائع"[٤٢].

وتبقى اعمال الفلاسفة ونصوصهم اقرب الى بنى سردية تكشف لنا كقراء اهتماماتهم الفكرية والادبية والسياسية والدينية وارهاصاتهم الابداعية وانشغالاتهم، وتحولات وتغيرات انماط وانساق الافكار التي يؤمنون بها على مر التاريخ، لكنها لا ترقى ان تكون بنى بيوغرافية بحصر المعنى..فأعمال الفلاسفة وكتبهم تخفي وتغيب بقدر ما تكشف وتبين ويبقى الامر بأنتظار من يتمكن من الغاز هذه السير ودورها في تشكل الهوية الثقافية لمبدعينا.

- **<u>ترياق الفلسفة بين عنكبوت الاتيقا ومطرقة الجوال:</u>** يقرر سبينوزا في رسالة في إصلاح العقل، أنه لابد أن يجد علاجا لما يعانيه من حيرة تجاه الاختيار بين حياة الفكر أم حياة الغنى والمال،فيقرر ساعتها عندما داهمه الخطر ان يبحث عن العلاج الناجع لحالته ف"حتى كان هذا العلاج مشكوكا فيه ،شأني شان المريض المصاب بداء قاتل،والذي سيهلك لا محالة لو لم يحصل على الدواء المطلوب،فتراه مرغما على البحث عنه بكل قواه،حتى لو كان غير متحقق منه،لأن كل أمله متوقف عليه"[٤٣] ،وهو يدرك انه لامحالة، صعوبة التخلص نهائيا من سلطة المال والحاجة، فهي وسائل تساعد في الوصول الى ما نرغبه من متع أخرى اكثر ألحاحاً..ويبدو أن علاجه يوجد في مصنفاته التي يحكي فيها قصة علاجه الفلسفية،بلغة الهندسة والحياة اليومية.

ويقف الجوال وحيدا يشدو ألحانا وشذرات ديونزيوسية طربا بالحياة بعد ما أعتلاه الأعياء، والمرض أخذ يسلب قواه، فهو يردد في العلم المرح ،ان الفلسفة تقترن بالصحة والفلاسفة المرضى، لابد ان يصلوا الى مبتغاهم يوما ما، عبر تسطير اناشيد العافية والخلاص من السقم فهو يخاطب نفسه قائلا:" ماذا يعنينا أن يسترجع السيد نيتشه عافيته؟. ان عالما نفسيا لا يعرف الا القليل من الاسئلة المغرية تلك التي تبحث في العلاقة بين الصحة والفلسفة، وفي حالة مرضه هو، فأنه سيتعمق في مرضه بكل

فضوله العلمي." ويبدو مما يقوله لاحقا ان الفلسفة علاجا لما تعتريه من علل ألمت به وراحته هو في التفكير والانتاج الفلسفي وهوما يتضمنه قوله" أما فلسفة الأول فضرورة ،بأعتبارها سندا ،تهدئة، دواء ،تخليصا ،رفعة ،تجردا من الذات ،.."[٤٤]. وعلى ما يتضح من نص آخر له يكشف فيه أهمية أوجاع الجسد في نتاج الفلاسفة وأنعاش الفلسفة بالمرض كتجربة ملهمة للكتابة بوصفها آلية نفسية فلسفية تساعد المتفلسفة التخلص من سموم اجسادهم،بل ان الفلسفة برأيه عبارة عن تأويلات سيئة لقيمة الجسد وراهنية لحظة المرض،ف"كل فلسفة تولي للسلم مكانة أرفع مما توليه للحرب،كل أخلاقيات تنمي مفهوما سلبيا للسعادة،كل ميتافزيقا وكل فزيقا تدعي الألمام بغاية ما ،بحالة نهائية ما ،كل طموح ذي سيادة جمالية أو دينية لجهة،لما وراء التنكر اللاشعوري للحاجات الفزيولوجية تحت أقنعة الموضوعية،التصور الذهني ،العقلانية الخالصة،قادر على ان ياخذ أبعادا مخيفة–وكثيرا ما تسائلت بعد تقليب طويل ،إن لم تكن الفلسفة الى ذلك الحين عبارة عن تأويل للجسد وسوء فهم له على الاطلاق."[٤٥]

ويفهم القارئ ما يريده نيتشه،إذا علَم إنه أنشغل كثيراً بالعلاج على صعيد ذاته ومرضها الجسدي،وأبناء جنسه وأمراضهم الخاصة وثقافتهم،والفلسفة كعلم، وحضارة أوروبا وأنتكاساتهم وشيخوختهم وقيمهم البالية الرافضة لقيم الحياة .حتى أنه يصف نفسه بأنه طبيب للحضارة ،فمهمة الفلسفة هي أيجاد علاج لمرض الحضارة.."أنني اخصائي في مسائل الانحطاط والتدهور"، فلأنه عرف المرض أدرك علاجه. إذ يقول"أنطلاقا من إرادتي في الصحة والحياة صنعت فلسفتي" بل انه يؤكد على ان تحرير الانسان من الأستياء هو مقدمة مهمة للعلاج"وصداقة الجسد علاجا لضعفه،"ان الأستياء المتولد من الضعف لا يضر احداً اكثر مما يضر الانسان الضعيف نفسه"[٤٦]وهو بأنتظار "مجيء فيلسوف طبيب،بالمعنى الاستثنائي لهذه العبارة،حيث ستنهض مهمته على دراسة مشكلة الصحة الاجتماعية لشعب ما،لحقبة ما،لجنس ما ،للأنسانية –وسيجرؤ يوما ما على ايصال ريبتي الى اقصى حد،وعلى تطوير الفرضية:في كل نشاط فلسفي لم يكن الامر

يتعلق حتى ذلك الحين بالعثور على ال(الحقيقة) اطلاقا،ولكن بشيء آخر تماما،لنقل بالصحة،بالمستقبل بالنمو بالقوة بالحياة".[٤٧] ويقول في مكان آخر في فقرة فائدة الصحة العليلة:الذي يكون مريضا اغلب الاحيان يجد في الصحة الجيدة ليس فقط متعة كبيرة،بسبب شفائه المتكرر،بل يكتسب شعورا مرهفا جدا بما هو سليم ومرضي في الاعمال والافعال التي يقوم بها هو او غيره،الى درجة اننا عادة ما نجد في مؤلفات الكتاب المعتلين وكل الكتاب الكبار تقريبا معتلون،مع الاسف لهجة صحة واثقة من نفسها ومتوازنة ،وذلك لانهم ماهرون افضل من الرجال الاشداء بدنيا،في فلسفة الصحة والشفاء الاخلاقيين،وكذلك في ارباحها :الصبيحة الشمس الغابة والمنابع"[٤٨]

وترياق فيلسوف الكوناتوس،ينطلق من أن حبنا للأشياء الفانية هو ما يولد غياب السعادة ،فلا المال والجاه والرغبات الجسدية الزائلة،هي ما تصبو اليه الذات في تحقيق السعادة الحقة،ولا يضر ان كنا اعتقدنا بيقين، أنها وسائل لا غايات،فعليه لابد برأيه معرفة الطبيعة ،لنحقق كمالنا البشري وسعادتنا ،ونأسس مجتمع يسير وفق ما نرغب به قيم عليا،وكذا الحال اعطاء اهمية للطب،لذا يقتضي الامر "معرفة الطبيعة بالقدر الكافي لاكتساب ما نصبو اليه من كمال طبيعتنا،وينبغي في مرحلة ثانية،ان نكون مجتمعا يكون على نحو ما نرغب فيه،بحيث يتسنى لأكبر عدد من الاشخاص بلوغ الهدف المنشود بأيسر الطرق الممكنة واسلمها.ولابد ان نعكف بعد ذلك على فلسفة الاخلاق وعلم التربية فضلا عن علم الطب ،لما للصحة من دور هام في سياق مشروعنا.."[٤٩]ولا تخلو هذه العبارات ملامح وعظية لاسيما ان هناك بنية مشتركة بين الفلسفة والدين وهو نجده عند كل من سنيكا و أوغسطين كما اشار أحد الكتاب[٥٠] .

ونفهم ان ما يشغل عقل نيتشه النقدي، هو توريث الحالة المرضية الثقافية التي يراد منها تسميم عقولنا بها،وليس المرض بحد ذاته،ف"ليس المرض هو الوراثي،لكنها الحالة المرضية:وتتمثل في نقص القوة التي تمكن من الصمود امام خطر الاجتياحات المضنية الخ.. _فقد تم كسر قوة الصمود_كسرٌ تم التنظير له اخلاقيا:الاستسلام والذل امام

العدو.تساءلت في سري ان لم تكن القيم العليا للفلسفة والاخلاق والدين شبيهة الى الان بقيم المستضعفين والعجزة والمجانين والعصابين:فهي تشترك كلها في تمثل الفواجع نفسها بالشكل الأكثر سطحية.."[٥١]

وربما من القلائل من المفكرين أنشغل قلمه بضرورة التفكير بتغذية الجسد واهمية الصحة لأيجاد علاجا ثقافيا لأمته ولذاته اولاً كما هو الحال مع سبينوزا ونيتشه اللذين انشغلا بأنتاج ما يكافح سموم الثقافة .. فالأول يرسم قاعدة للعيش ترتكز على ان الانسان الحكيم كما يسميه "ان يستعمل الاشياء ويتمتع بها قدر الامكان (دون ان يبلغ التقزز،لان ليس في ذلك متعة)،وعليه ان يستخدم لإصلاح ذاته واستعادة قواه أغذية ومشروبات لذيذة متناولة بمقادير معتدلة،كما عليه ايضا ان يستعمل العطور ويستمتع بالنباتات المخضوضرة،وبالحلي والموسيقى والالعاب الممرنة للجسم والعروض المسرحية واشياء اخرى من نفس القبيل،التي بوسع كل واحد ان ينعم بها دون ان يلحق ضرراً بغيره..."[٥٢].والثاني يدوعونا للاهتمام بالتغذية والجسد ف"هل نعرف الآثار المعنوية للأطعمة؟هل توجد فلسفة للتغذية؟..."[٥٣].بل أنه يؤكد على أهمية الأنشغال بكل مايعد بنظر الآخرين تافهاً وحقيرا،فالأكل والكحول والقهوة والشاي وشرب الماء وموقفه من النبات والانشغال بأمر المعدة والهضم والمناخ والصمت وعلاقته بالمعدة وسوء الهضم..ف"في كل هذه الأشياء –اختيار الطعام ،الموضع،المناخ، التجدد فأن غريزة الحفاظ على الذات تسود وتعبر عن نفسها بأقل غموض في شكل غريزة الدفاع عن النفس.."[٥٤]

- **<u>حياة الفلسفة بموت الحقيقة</u>**

بين فيلسوف يضحي بالحقيقة المجردة ذي الصبغة السقراطية/ الافلاطونية ويؤسس حقيقته هو كما يريد لكي يحتضنها، لينطقها أغاني تشدو بحب الحياة. وآخر يعلمنا دروس تربوية في الأفتتان بالحياة من أجل الحقيقة..هكذا تبدو لنا هذه السير الخلابة للعقل البشري وأمكاناته في بلورة مفاهيم تنعش ذاكرة الحياة المعاشة ،بدلا من التفكير

بالموت،إذ على الانسان الحر برأي سبينوزا الّا "يفكر في شيءأقل من الموت،وتتمثل حكمته في تأمل الحياة،لا في تأمل الموت"[٥٥]. ويقول نيتشه مناغيا نذيره المبشر(كما يصف سبينوزا)،"..إن ما يسعدني هو ان ارى الناس يرفضون ان يفكروا فكرة الموت بفكرة الموت بتاتا! وسأساهم عن طيب خاطر لأجعل فكرة الحياة اجدر مائة مرة بأن تكون فكرةً ابعد!."[٥٦] .

والأصوب "لنمت في الوقت المناسب"[٥٧] كما تكلم زرادشت.أو كما يقول مرة أخرى "الموت.لابد من قلب الظاهرة البيولوجية التافهة الى ضرورة أخلاقية.ان يحيا المرء على نحو يجعله يمتلك إردة موته في الوقت المناسب"[٥٨].

وعلى ما يبدو ان الأفكار لابد أن تخدم الحياة، لأننا بدون ذلك نضحي بقيم وجودنا ورغباتنا وأوهامنا الضرورية!..وبالتالي هناك مكانة للأوهام والأكاذيب والرغبات التي تسير حياتنا بالصورة التي تعكس، أن لا موضوعية مفترضة ولا أزلية حق، يرتجى من مسيرتنا الوجودية ،ولعل الأمر ببساطة ينكشف، بأن علينا أن ننكر الحقيقة في معبد الحياة ،فمادام الحقيقة تأويلاً مستمراً ومنظورية ذاتية تناغي الراهن،فعلى ذلك تغدو الحياة هي ما يمكن أن ندعوه، بأستراتيجيات متنوعة ومتناقضة لا تنشغل البتة في البحث عن الثابت وراء المتغير،أوالمبادئ الازلية وراء الظواهر لذا" يدعوا نيتشه أفكارنا ،وممارستنا،وأنماط حياتنا، تأويلات بسبب الأمكانية الثابتة، لمثل إعادة التنظيم هذه، وايضاً لانه يعتقد بأن كل رؤية للعالم ،تسمح بنوع من الحياة وتبرزه عن سواه،مما يعني بأن كل واحدة إنما تفترض وتفصح عن مصالح وقيم مميزة.أنه يدعوها تأويلات لكي يثير أنتباهنا الى كون أنها ليست متجردة ابداً ولا غير مبالية ،وأنها ليست موضوعية بالمعنى الذي تفهم به الكلمة عادة.وإذا وجدت تأويلات مختلفة للعالم ،فليس لأن للعالم عددا لا محددا من السمات،وإنما لأن هناك اصنافاً مختلفة من الناس لا يمكنهم كلهم أن يعيشوا حسب نفس الافكار والقيم"[٥٩].

ويفهم نيتشه المنظورية والتأويل ،بوصفهما نتائج لأنكار(الحقيقة) المتعالية.وهو مانلمس مقابله عند سبينوزا عندما يقول"اننا لا نرغب في شيء لكوننا نعتقد خيرا بل،على العكس،إنا نسمه خيرا لكوننا نرغب فيه،ونسمي بالتالي شرا كل ما ينفرنا.وهكذا يحكم كل امرئ على الاشياء وفقا لأنفعاله الخاص مقدرا ايها جيد وايها رديء،ايها افضل وايها اسوء ..وعلى نحو ذلك يحكم كل انسان ،وفقا لأنفعاله الخاص،ان بعض الاشياء حسن او قبيح،نافع او غير نافع"[٦٠] ..

يدرك سبينوزا ان الخوف من الموت، سببه انفعال الحزن وغياب الحرية،وهو يشرح ذلك في برهانه للقضية ٦٧ قائلا "ان الانسان الحر،أعني الذي لا يهتدي الا بالعقل ،لا يقوده الخوف من الموت ،بل هو يرغب بالخير مباشرة ،أنه يرغب ان يفعل ويحيا ويحافظ على كيانه وفق مبدأ البحث عما ينفعه بوجه خاص،وبناء على ذلك فهو لا يفكر في شيء اقل من التفكير في الموت،وان حكمته تتمثل في تأمل الحياة"[٦١]. فالأنسان الخائف غير حر ولا هو كائن عاقل بالنتيجة.والانسان العاقل هو حر لا يخاف، والفرق بينهما على ما يرى أحد الشراح لفسفة سبينوزا ،مستندا على كتاب علم الاخلاق، "هو لماذا يفعلان ما هو حسنٌ وصحيحٌ.فالانسان الذي يتصرف انطلاقا من الخوف يفعل ما حسن لانه يركز مباشرة على الشر الذي يليه فعلُ ما هو قبيحٌ.فيسارع على نحو أعمى الى ذراعي الخير بينما يهرب من القبيح.هذا هو الحال،على سبيل المثال مع الناس الذين ،بسبب الخوف من الله الذي وضعه فيهم رجال الدين،يؤدون اعمالاً فاضلة، لا لأنها الأمر الفاضل الذي يجب عليهم فعله (ومن اجل مصلحتهم الأفضل) ولكن لأنهم يخافون الغضب الألهي"[٦٢].

ويكشف لنا أحد الشراح لفلسفة نيتشه والذي ندرك من خلاله ذاك الخيط الذي يسير عليه سبينوزا من قبله، من خلال إلغاء الفرق الماهوي بين الخير والشر،والإلتفات الى عمق التغاير ،بين الاثنين ،اقصد الخير والشر يقول نيتشه،"فبقدر ما يمكن للشر ان يكون مبالغة ولا تناغما ولا تناسبا يمكن للخير ايضا ان يكون حرمانا وقائيا من اجل

تجنب مخاطر المبالغة وعدم التناغم وعدم التناسب".[٦٣] وفي ذلك يتحفنا سبينوزا بالقول"نسمي خيراً او شراً ما يكون نافعا لحفظ وجودنا او ضاراً به ،ما يزيد او ينقص ويساعد او يعوق قدرتنا على الفعل،فبقدر ما ندرك ان شيئا ما يولد فينا الفرح او الحزن فأننا نسميه حسنا او قبيحا"[٦٤].او كما يقول في مكان آخر "الحسن والقبيح لا يقالان الا بمعنى نسبي_لا يقال الشيء منظورا اليه على حدة لا حسنا ولا قبيحا، بل يقال هكذا متى اعتبر فقط في علاقته بشيء آخر وكان مساعدا له او معرقلا في نيل ما يشتاق اليه"[٦٥]. على ما يظهر لنا ،ان الانسان الحر_الحكيم عند سبينوزا،هو الذي يكون سعيدا ،لأنه يفهم سر الأنفعالات ويتجاوز سر الانفعالات والبعد السلبي للأنفعال ويذهب الى تحقيق شروط العقل لحياة سليمة .رباطة الجأش والمروءة والأريحية شروط الانسان ليكون حرا وسعيداً.

فأننا سعداء لأننا عقلاء،وبالتالي فكل انسان عاقل وحكيم يفهم ويعرف العالم والاشياء وذاته والله، هو الكائن العارف انه لابد ان يتجاوز الطفل[٦٦] الذي يسكنه او ما يجعله طفلا ،ليصل الى الحكمة والحب الألهي، فأننا سعداء بتجاوزنا للانفعالات(السلبية) والعيش بحب الحياة ومعرفة طبيعة كينونتها واتباع (كوناتوس) الذات في الاستمرار في وجوده وتحقيق رغباته، وهو ما يؤدي تباعاً الى ان نكون اكثر سعادة.

يقابله الانسان الحر عند نيتشه المقتدر والمعافى الذي ينشد القوة في ارادته المسلوبة من قبل الانساق اللاهوتية والاخلاقية والميتافزيقية ،ليغدو كما يشاء او كن كما تريد ان تكون.وثقافة الكاهن التي ينتقدها نيتشه بشدة في كتابه (جينالوجيا الاخلاق)،ويرمز له بالاصل الاخلاقي الديني وهو ما يؤسس لقيم ارتكاسية واخلاق العبيد التي ليست فعل بل رد فعل كما يقول نيتشه.[٦٧]

بين منهج نيتشه الذي يبحث في تاريخية الاخلاق والقيم ومصدرها وفقا لرؤية النساب والمؤرخ الجينالوجي ،وبين منهج سبينوزا الهندسي يطمح ان يضع فهما علميا وعلاجا للانفعالات[٦٨] كما يقول سبينوزا في كتابه علم الاخلاق.يجمعهم تحفيز الانسان لتحقيق

كيانه ووجوده بعيدا عن انفعالات طارئة. وبعيدا عن العامة والجمهور الذي يحتقرانه ويصفانه بأقذع النعوت(غياب العقل والكذب والعبودية والخضوع والضعف والارتكاس والحقد والانفعالات السلبية..).. لكننا مع سبينوزا نجد ميلا اجتماعيا وسياسيا،على الرغم من نقده للجمهور لأنهم يتبعون الامل والخشية والشفقة وهي اساليب تخرج الانسان من نمط العقلانيه وترميه بكهف الانفعال،"فالرعاع رهيب اذا لم يردعه رادع" ولا يمكن للأنسان ان يرهن كيانه للجمهور، لأنهم كائنات متقلبة ومتبدلة[٦٩].

لكنه يرى في نفس الآن ان الأنسان بحاجة الى آخر يساعده ويحقق كماله.والصلات بالآخرين محبذة ومهمة،اذ يقول"أنه يتعذر علينا ابدا الّا نحتاج الى الاشياء الخارجية كي تساعدنا على حفظ كياننا وان نقطع الصلة بها تماما،ولو تأملنا من جهة اخرى في انفسنا لبدا ذهننا بالتاكيد اكثر نقصا،لو كانت النفس وحيدة لا تدرك شيئا خارج ذاتها.وهناك اذا خارجنا اشياء كثيرة تعود علينا بالفائدة وتستلزم بالتالي رغبتنا.ومن بين هذه الاشياء لن يجد الفكر افضل من تلك التي تتفق مع طبيعتنا تماما،ذلك إذا أقترن فردان من **طبيعة واحدة** فأنهما سيكونان فردا اقوى من كل واحد على حدة.ولا شيء يكون أنفع للانسان من الانسان، اجل!لا يمكن للبشر ان يتمنوا شيئا افضل لحفظ كيانهم من ان يتفق جميعهم في كل الامور–بحيث تؤلف انفسهم جميعا واجسادهم جميعا نفسا واحدة وجسدا واحدا بوجه من الوجوه– وان يسهروا جميعا على حفظ وجودهم ،وان يسعوا كلهم الى ما يفيدهم جميعا.ويترتب على ذلك ان الذين يقودهم العقل ،اي الذين يبحثون على ضوء العقل عما يفيدهم ،لا يرغبون في شيء لأنفسهم الا ويرغبون ايضا لغيرهم،وبالتالي فهم عادلون وحسنوا النية ونزهاء"[٧٠]، يعاكسه الذي يفتش عن اتباعه الاقوياء المحاربين الاحرار الغير مبالين للاخرين ."فالحر تعني سيطرة الغرائز الذكورية والحربية وغرائز الانتصار على بقية الغرائز،مثل غريزة إيثار (السعادة).إن الانسان الذي تحقق له التحرر،واكثر منه العقل الذي تحقق له التحرر، يدوس بقدميه على ذلك النوع الحقير من الطمأنينة التي يحلم بها، البقال والمسيحي والابقار والنساء والانكليز وغيرهم

مـن الديموقراطيين.الانسـان الحـر محـارب.."[٧١].ف"التنـازل عـن الامتيـازات علامـة انحطاط".و"الحياة هي جوهريا استيلاء وأنتهاك وغلب للغريب والضعيف وقمع وقسوة وفرض للأشكال الخاصة واستعياب،بل هي على الاقل،وفي أرحم الحالات،استغلال" وان "الثلة النبيلة كانت في البدء ودائما ثلة من البرابرة:يكمن تفوقها لا في القوة الجسدية بالدرجة الاولى بل في القوة النفسية–كانوا البشر الأكمل(مما يعني ايضا أنهم الوحوش الاكمل في كل شيء)"[٧٢].

وبعيدا عن أوهام المجتمع والماضي والذات والقيم والمألوف ،أحيانا يقتربان(سبينوزا ونيتشه)من السلطة وأحيانا أخرى يرفضونها بالمطلق.ويشهد على ذلك مواقفهم السياسية والدينية. وتدلنا عملية نشر اعمال سبينوزا على مدى الاضطهاد الذي كان يعانيه وحرمانه من نشر افكاره بحرية وأريحية اذ لم ينشر له غير عملين،مبادئ فلسفة ديكارت وملحقه الخواطر ،والثاني رسالة في اللاهوت والسياسة .واحد فقط نشر بأسمه الصريح حتى بعد وفاته نشرت اعماله بمساعدة اصدقائه فقط بحروف اسمه الاولى.[٧٣]

فأسبينوزا (الحذر) والحريص على حياته لا ينوي تعليم الفرد مواجهة سلطة الدولة كما تقول تعاليمه السرية التي احاط نفسه بها،"لا ارى ان السلطة العليا تسخ على المواطن الذي يظلم غيره عندما تعاقبه من اجل المحافظة على السلم في الدولة،ذلك لانها لا تسعى الى القضاء على هذا المواطن بدافع الكراهية بقدر ما تجازيه بأسم الاخلاقية[٧٤]"

اما نيتشه الذي اعلن ان تشويه الطبيعة واهداف الاخلاق _الضعفاء_ وتشكيل الدولة الحديثة البعيدة عن اهداف الدولة اليونانية/ الرومانية، والمساواة والاشتراكية والديمقراطية والايمان بالروح، كلها مظاهر للعدمية المعاصرة."ليس للمساواة مكان في الطبيعة.وهي مجرد مغالطة يستخدمها الضعيف لخداع القوي وإخضاعه...نرى اليوم متوسطي الامكانات الجماهير"القطعان الحيوانية" تربض كلها سوية ،كجسدٍ واحد،يحتشدون ويسحقون كل استثناء شاهق.ان الحقوق المتساوية التي بها ليست سوى مساواة في عدم العدالة"[٧٥]. أيحق لنا القول ان سبينوزا ونيتشه يكملان بعضهما البعض؟. فهما ينشدان

الحق في القوة والارادة ويقهران الموت انتصارا للحياة ويجعلان الضرورة معيارا للحرية .ولكل منهما طريقته ومنهجه بالحياة.

فلا يمكننا التحدث بصورة مطلقة عن تطابق سيرهما مع بعض او تطابق سيرتهما مع فلسفتهما،لكن يمكننا الاستنتاج بيقين، أن الوصول الى مصدرهما في بلورة أفكارهما لا يمكننا من الاستغناء عن مصدر سيرتهما الذاتية، بوصفها المجرى الواقعي الذي سارت وأنصهرت فيه نصوصهم الابداعية على قصر حياتهم(٤٥ سنة سبينوزا و٥٦ سنة نيتشه) وكثرة معاناتهم ومرارة ما لقوا من ويلات ومحن مرضية .فكيف نفسر رفض سبينوزا عرض امير بافاريا استاذية تدريس الفلسفة في جامعة هايدلبرغ عام (١٦٧٣) وبأجر سخي وهو بأمس الحاجة للمال،حتى أنه فضل صقل العدسات عليها؟.

وكيف نفسر مغادرة نيتشه لجامعة بازل (١٨٧٦) وتركه للتدريس والإنزواء بعيدا عن عالم الشهرة والمال؟.

أعتقد انما يفسر هذه السير وسلوكياتها ،هو عشقها الأبدي للحياة الحرة والابداع من أجل فلسفة لا تبور في سرديتها المتعالية.ولكي تبشر بسير ذاتية لم تكن سوى ذاتها..او ذات لم تكن سوى فلسفتها.لكنهما لم يكونا قادرين على ان تكون سيرهما الفكرية، متوازنة بشكل شفاف مع مسيرة الحياة الصعبة والمريرة صحيا واجتماعيا وثقافيا،فظروفنا تحكم إنتمائنا الثقافي وثقافتنا وهويتنا،تقوى أو تضعف بحسب منعرجات الحياة ومصائبها.فغالبا ما تكون السير منبثقة من تربية وثقافة محددة، لكننا مع سبينوزا ونيتشه نلاقي سيراً تؤسس ثقافة وتربية يهمها كثيرا أمر الحياة والعيش وفقا لأيقاع الذات الوجودي.ولا يهم من أتبعهم(كالأسبينوزية) او(النيتشوية) أو عارضهم وأي كانت هوياتهم ،لأنهم لم يكتبوا إلا ليكونوا أنفسهم ذاتهم لا غير..

[1] دانيال بلو :تشكل فريرديك نيتشه ص٢٧-٥٢ .لاشك ان موت والد نيتشه وموت اخوه جوزيف ترك أثره البالغ على شخصيته وكذا الحال بوفاة اخ سبينوزا غابريل ووالده من قبله.

[2] فؤاد زكريا سبينوزا ص١٩.ينظر للمزيد الحاج دواق في كتابه الضرورة والحرية قراءة في فلسفة سبينوزا ص١٧وبعدها.فالاستقلال الكلي والخضوع المطلق هما امران مستحيلان عند نيتشه كما يقول نيهاماس في كتابه:يتشه الحياة كنص ادبي ص٧٦.

[3] ستيفن نادلر :فكر اقل في الموت ص١٨١ وما يليها.

[4] روديغر سافرانسكي :معلم الماني هايدغر وعصره ،ت عصام سليمان المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات الدوحة ط١ ٢٠١٨ ص١٩.

[55] فرانسوا نودلمان:عبقرية الكذب او هل كذب كبار الفلاسفة ت اياد عيسى صفحة سبعة للنشر والتوزيع السعودية ص ٨١-٨٢.ويذكر ان هيدجر اشترك في لجنة نازية بقيادة بوملر لحرق الكتب والذي أعاد طبع كتب نيتشه بالصورة التي تخدم النازية وهتلر.حتى انهم اخرجوا فيلما سينمائيا عام ١٩٣٤بعنوان(انتصار الارادة) وعندما سُئل هتلر عن اهمية نيتشه قال "...انه ليس معلمي" ينظر سوبريدو :انا عبوة ديناميت ص٤٧١ وما يليها.

[6] فرانسوا نودلمان: عبقرية الكذب ص٨٣.

[7] سو بريدو: انا عبوة ديناميت ت احمد عزيز سارة ازهر نابو للنشر والتوزيع بغداد ٢٠٢٠ ص٤٠٠

[8] دانيال بلو:تشكل فريرديك نيتشه السعي للهوية ١٨٤٤-١٨٦٩ ت محمد الفشتكي الرافدين بيروت ٢٠١٨ ص٣٩١

[9] ريبيكا غولدشتاين:خيانة سبينوزا ت ادهم وهيب صفحة سبعة للنشر والتوزيع السعودية ٢٠٢١ص٦٨.

[10] سو بريدو: انا عبوة ديناميت ص٢٣٦.

[11] نيتشه : ماوراء الخير والشر ت جيزلا فالور دار الفارابي بيروت ٢٠٠٣،ص٢٦-٢٧.اللاخلاقية تكاد تتشابه عندهما من حبث الدافع لتأسيس قيم جديدة تسير اخلاقياتنا لكن يبقى الاصل الاجتماعي له حضوره عند الاثنين بغض النظر عن تمييز القوي عن الضعيف عند نيتشه.الا ان سبينوزا كان أكثر وضوحا من الناحية النقدية اذ اخذ بنظر الاعتبار الكوناتوس ورغبة الفرد ليكون ذاته اما نيتشه فقد خلع كل شيء يمكن ان نرتديه. فلتكون فردا عليك ان تكون قويا بمعزل عن كل شيء.

[12] ينظر للمزيد كارل يونغ:نيتشه زرادشت مخلص العصر الحديث،ت متيم الضايع،دار الحوار سوريا ٢٠٢١ص٣٨٧ وما يليها.كلام يونغ ينحصر بنيتشه. ونحن نسحب تأويله ليشمل سبينوزا ايضا..!

[13] بيير كلوسوفسكي: نيتشه والحلقة المفرغة ت صلاح بن عباد صفحة سبعة للنشر والتوزيع السعودية ٢٠٢١،ص٩.

[14] لوسالومي :نيتشه سيرة فكرية ص٢٤

[15] نيتشه :هذا الانسان ت مجاهد عبد المنعم مجاهد مركز الانماء الحضاري دمشق ٢٠٠٩ ص٧١.

[16] سبينوزا:علم الاخلاق ت جلال الدين سعيد المنظمة العربية للترجمة بيروت ٢٠٠٩ص٣٥١-٣٥٢

[17] لو سالومي :نيتشه سيرة فكرية ت د.هناء خليف الرافدين بيروت ٢٠٢٠ ص٢١-٢٢

[18] نيتشه :ما وراء الخير والشر ص٢٧.

[19] فؤاد زكريا :نيتشه مؤسسة الهنداوي ٢٠١٨،ص١٧ ومابعدها

[20] اويغن فنك"فلسفة نيتشه ت الياس بديوي ط١ دار الكتب العلمية بغداد ٢٠٢٢ ص٢٤.

[21] أويغن فنك :المصدر نفسه ص٢٠.

[22] يبدو ان هناك شبه غريب بين سبينوزا وموقف اصدقائه مثل(ماير ودي فريز والدنبورغ) ونيتشه كذلك مثل بيتر غاست وأوفربيك .اذ ساعدوهم في طباعة اعمالهم وحاجاتهم وتسديد ديونهم ووقفوا بجانبهم عبر التراسل او دفع المال لهم او مراعاة ظروفهم القلقة.انظر سو بريدو عبوة ديناميت ص٣٨٤.سبينوزا المراسلات ص١٨٧.

[٢٣] ارفين يالوم :مشكلة سبينوزا ص٤٧٦ وما يليها.لم يرث من سبينوزا من اهله سوى سرير ينام عليه، ونيتشه اضحى ألعوبة بيد اخته الزابيث فأستولت على نصوصه ورسائله واخذت حقوق النشر وعوائدها.

[٢٤] دانيال بلو :تشكل فردريريك نيتشه ص١٤ -١٥

[٢٥] سو بريدو:انا عبوة ديناميت ص٤٥٣ وص٤٦٧.

[٢٦٢٦] دانيال بلو:تشكل فريدريك نيتشه ص١٩.

[٢٧] ارفين يالوم :مشكلة سبينوزا ت خالد الجبيلي منشورات الجمل بيروت٢٠١٩ ص٨-٩.لقد كان طموح نيتشه العلمي ان يكون طبيبا نفسيا.فهو بقول "ان كون كتبي هي تعبير عن رجل سيكولوجي ليس له نظير ربما بكون اول اكتشاف يقوم به قارئ جيد.."

[٢٨] سبينوزا:علم الاخلاق ص١٤٥

[٢٩] ستيفن نادلر:فكر اقل في الموت ت احمد حسن دار التنوير للطباعة والنشر٢٠٢٢ط ،ص٢٥٤.

[٣٠] سبينوزا رسالة في اصلاح العقل ت جلال الدين سعيد دار الجنوب تونس،٢٨.

[٣١] ارفين يالوم :مشكلة سبينوزا ص٤٧٦

[٣٢] نيكوس كازنتزاكيس:فردريك نيتشه وفلسفة الحق والدولة، ت سلام خيربك دار الحوار سوريا ٢٠٢١ص٣٢.

[٣٣] فردريك لونوار:المعجزة الاسبينوزية ت محمد عادل مطيمط دار التنوير للطباعة والنشر٢٠٢٠ص١٧٢.

[٣٤] الكسندر نيهاماس :نيتشه الحياة كنص ادبي ص٢٥٩.

[٣٥] سبينوزا :رسالة في اللاهوت والسياسة ت حسن حنفي دار التنوير للطباعة والنشر بيروت٢٠٠٥ ص٤٤٤.

[٣٦] سو بريدو :عبوة ديناميت ص٤٤٠ وما يليها.يتضح مفهوم اللاخلاقية بوصفه نقد القيم السائدة لخلق قيم تؤصل النسبية وتفتح آفاق الاستعداد الذاتي عند الانسان لكي يقوى قي وجوده ويحقق امكاناته الحيوية. الا ان نيتشه بقي يراوح في بنية القوة النخبوية وتعالي الانا في تخيل كينونتها ابعد من واقعها وفقا لمنطق الفعل ورد الفعل النابع من ارضية تمييزية بين العبد والسيد او القوي والضعيف.وبقي سبينوزا يمني النفس بقوة النفس والجسد معا ليخلق انسانا حرا يخضع لمنطق الطبيغة المحفز لكينونة الانسان اي كان قويا او ضعيفا لانه ينوي الاجهاز على قيم الضعف ليكون مساويا احدهما للاخر جوهريا ووجوديا

[٣٧] دانيال بلو:تشكل فريدريك نيتشه،ص ١٤.

[٣٨] سبينوزا:مبادئ فلسفة ديكارت افكار ميتافزيقية مراسلات ت جلال الدين سعيد المركز القومي للترجمة تونس ٢٠١٥ ص١٨١

[٣٩] المصدر السابق ،ص١٨٢.

[٤٠] اندريه كريسسون اسبينوزا ت تيسير شيخ الارض دار الانوار بيروت١٩٦٦،ص٥.

[٤١] فؤاد زكريا:اسبينوزا دار التنوير للطباعة والنشر بيروت ط٢ ١٩٨٣ ص٢٠

[٤٢] بيار –فرنسوا مورو:اسبينوزا والاسبينوزية ص١٨-٢١.

[٤٣] سبينوزا رسالة في اصلاح العقل ص٢٨.

[٤٤] نيتشه :العلم المرح ت محمد الناجي افريقيا الشرق المغرب ١٩٩٣ص٤١.

[٤٥] المصدر السابق ص٤٢.

[٤٦] نيتشه :هذا الانسان ص ٢٤وما بعدها.

[٤٧] نيتشه :هذا الانسان ص٤٥-٤٦

[٤٨] نيتشه:انسان مفرط في انسانيته ت محمد الناجي افريقيا الشرق المغرب ٢٠٠١ص١٠٤-١٠٥

[٤٩] سبينوزا رسالة في اصلاح العقل.ص٣٠.

[٥٠] سبينوزا ، ت عقيل حسين. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ص٣٦.لم يسر كل من سبينوزا ونيتشه مع رغبة والديهما ،بأن يكونوا رجال دين فألاثنان لم يحققا هذه الرغبة والأنصياع لأوامر

والديهما.فأسبينوزا طرد من طائفته ونيتشه حورب من اقرب الناس اليه أو هكذا كان يظن بخيبة أمله حتى ببعض اصدقائه كما اشار في (هذا الانسان) بأنهم خذلوا فكرته حول زرادشت.

[٥١] بيير كلوسوفسكي نيتشه والحلقة المفرغة ص١٢٠.

[٥٢] سبينوزا علم الاخلاق ص٢٧٥.

[٥٣] نيتشه:العلم المرح ص٥٤.

[٥٤] نيتشه :هذا الانسان ص٦٠.

[٥٥] سبينوزا: علم الاخلاق ص٢٩٥

[٥٦] نيتشه العلم المرح ص١٦١.

[٥٧] نيتشه: هكذا تكلم زرادشت ت علي المصباح منشورات الجمل بيروت ٢٠٠٧ص١٤١

[٥٨] نبتشه :المصدر نفسه هامش ١٤٢-١٤٢.

[٥٩] الكسندر نهياماس :نيتشه الحياة كنص أدبي تحمد هشام افريقيا الشرق المغرب ٢٠٠٨ ص٨٠.

[٦٠] سبينوزا علم الاخلاق ص١٨٥-١٨٦

[٦١] سبينوزا علم الاخلاق ص٢٩٦.

[٦٢] ستيفن نادلر :فكر في الموت أقل سبينوزا كيف نحيا وكيف نموت ص٢٢٢-٢٢٣

[٦٣] بيير كلوسوفسكي :نيتشه والحلقة المفرغة ص١٢١.

[٦٤] سبينوزا علم الاخلاق ص٢٤٠.

[٦٥] سبينوزا "مبادئ فلسفة ديكارت افكار ميتافزيقية مراسلات ص١٣٣.

[٦٦] سبينوزا :علم الاخلاق ص١٧٩.

[٦٧] نيتشه: جينالوجيا الاخلاق ص٥٩.

[٦٨] سبينوزا : علم الاخلاق ص٣٣٢.

[٦٩] سبينوزا:علم الاخلاق ص٢٧٧-٢٨٦

[٧٠] سبينوزا علم الاخلاق ص٢٤٩.

[٧١] نيتشه :غسق الاوثان ص١٤٦.

[٧٢] نيتشه :ماوراء الخير والشر ص٢٤٤ وما بعدها وبتصرف جمعنا النصوص مع بعض لتحقيق الفكرة.

[٧٣] ينظر مقدمة مترجم كتاب سبينوزا علم الاخلاق ص٩-١٠.

[٧٤] سبينوزا :علم الاخلاق ص٢٨٠.

[٧٥] نيكوس كازانتزاكيس :فرديريك نيتشه وفلسفة الحق والدولة ص٨٩.